University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الثلاثون – 25/ أكتوبر (2017)

البِنيوية و دورها في ترسيخ العلاقة بين اللغة و المُقدّس

د.عبدالله علي عمران

(كلية الآداب – قسم الفلسفة– جامعة عمر المختار – البيضاء)

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الثلاثون – 25/ أكتوبر (2017)

البِنيوية و دورها في ترسيخ العلاقة بين اللغة و المُقدّس

ملخص البحث

اللغة ظاهرة إنسانية فريدة، شغلتْ كل أشكال المعرفة، الفلسفة، و الدين، و العلم، و ارتبطتْ بكل الظواهر الإنسانية الأخرى، كالتفكير و الحضارة و الأساطير، و بطبيعة الحال، تباينت المواقف من اللغة، حسب كل شكل معرفي، كما تباينت العلاقات مع كل ظاهرة إنسانية، و لكن ما يعنينا هنا، هو العلاقة بين اللغة و المقدّس (النصوص و الطقوس الدينية) و علاقة اللغة بالفلسفة، فالعلاقة بين اللغة و المقدس قديمة جدا، بقدم الرسالات و الأديان، و هي خلافا لعلاقة اللغة بالفلسفة، و التي تعد حديثة نسبيا، كما أن رؤية الدين مقدسة أما الفلسفة فنقدية. ولعل من الغريب أن تتفق رؤية الدين مع رؤية إحدى المدارس الفلسفية و هي البنيوية، و الذي كان له الأثر الكبير على قبولها في الأوساط العربية، لكون البنيوية قدمتْ رؤية تتفق مع الرؤية العربية القائمة على قدسية اللغة، و تتمة لذلك لابد من الوقوف على آثار الارتباط بين اللغة و المقدس، على كل منهما.

Abstract

Language is a unique human phenomenon. It has occupied all forms of knowledge, philosophy, religion, and science, and has been associated with all other human phenomena, such as thinking, Civilization and mythology. Naturally, the attitudes and relationships of language vary according to each cognitive form and human phenomenon. The relation between language and the sacred is very old, which is contrary to the relationship of language to philosophy, which is relatively modern, and the vision of religion Sacred ,but philosophy is critical. It is strange that the vision of religion coincided with the vision of structuralism, which had a great impact on its acceptance in Arab circles, because the structuralism provided a vision consistent with the Arab vision based on the sanctity of language, and Link between language and sacred, It has effects on both.

مقدمة

الظاهرة اللغوية، ظاهرة فريدة، ليس لكونها تُميز الإنسان عن سائر المخلوقات، كما دأب الفلاسفة و المفكرون و العلماء على توصيفها، بل لكونها أيضا تتداخل مع كافة الأنشطة البشرية، و تتحكم في رؤية الإنسان لعالمه، بل قد تكون هي الوسيلة التي تُشكل ذلك العالم، و أول ما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد، هي أن الوظيفة التواصلية للغة، هي التي تجعل التجمع الإنساني ممكنا، حتى لو سلمنا أن اللغة هي نتيجة لذلك التجمع. و عن طريق اللغة يصف الإنسان عالمه، و يعيد وصفه لأقرانه، بل عن طريقها يتلقى الرسائل السماوية، و يرسل رسائله، و عن طريقها تتواصل الشعوب و الحضارات. و لكن هذه الوظائف المتعددة، هي في الحقيقة تربك اللغة، و تتأثر بها، اللهم إذا تصورنا أن اللغة وسط شفاف لا يؤثر و لا يتأثر. و على الرغم من أهمية كافة أشكال التواصل، إلا أن التواصل المقدس المتمثل في الطقوس و العبادات، كان الأكثر أهمية، و مدعاة للجدل و الاختلاف، من حيث تأثر باللغة، و تأثيره عليها.

و لقد اهتمتْ الفلسفة باللغة شأنها شأن بقية العلوم، بل تشكلت مدارس فلسفية انطلاقا من اللغة، و لعل البنيوية هي أبرز الأمثلة على تلك المدارس الفلسفية، على الرغم من إنكار أنصارها انتمائهم للفلسفة، فلقد استنبطت البنيوية منهجا من خلال النسق اللغوي، الذي اعتبرته نسقا مغلقا، و رفعت ذلك النسق إلى مستوى القداسة. و هذا التصور الفلسفي يثير العديد من التساؤلات، من حيث اتفاقه في النتائج مع التصور الديني، فهل كانت له نفس المنطلقات؟ و هل هذا الاتفاق، هو الذي جعل البنيوية أكثر قبولا في الأوساط العربية؟ و الأهم من هذا، هل لعلاقة اللغة بالمقدس سواء من منظور ديني أو فلسفي أثر على طبيعة اللغة؟ وللإجابة على هذه التساؤلات، يتطلب الأمر عرضا لأهم السمات لعلاقة اللغة بالمقدس، و كيفية تبني البنيوية لهذه العلاقة، من خلال تحليل بعض آراء روادها، للوصول في نهاية الأمر إلى تصور حول طبيعة العلاقة بين اللغة و المقدس، و معرفة انعكاسات ذلك على اللغة العربية بشكل أساسي، و هو الدافع الأول لاختيار هذا الموضوع.

أولا: اللغة و الإنسان (أهمية الظاهرة اللغوية)

تعد اللغة كظاهرة إنسانية فريدة، محل إشكال و تساؤل بين الكثير من الفروع المعرفية، فاللغة هي أهم خاصية يمكن من خلالها دراسة الطبيعة الإنسانية بصفة عامة، كما يؤكد ذلك (نعوم تشومسكي)؛ لكونها من أهم الخصائص المقصورة على النوع الإنساني، و هي جزء من إعدادنا الإحيائي المشترك shared biological endowment الذي لا يختلف فيه النوع الإنساني إلا قليلا، كما تدخل اللغة بطريقة جوهرية في الفكر و الفعل و العلاقات الاجتماعية.[1] فكافة أشكال التطور، قد يشترك فيها الإنسان مع مخلوقات أخرى، تملك ذات الصفة، خاصة تلك التي تندرج تحت مسمى التطورات البيولوجية العضوية، أما التطور اللغوي، فهو خاصية يتفرد بها الإنسان، و ليس أدل عليها، من ذلك التباين بين اللغات البشرية المختلفة، بل و لغة العرق الواحد و الشعب الواحد، ليس فقط على مستوى أزمنة متعددة، بل حتى في الزمن الواحد و الجيل الواحد، و التطور اللغوي الملحوظ، خاصة بعد التدفق الهائل لوسائل التواصل و تقنية المعلومات.

و لقد عبّر بعض المفكرين، عن أهمية اللغة، من خلال اعتبارها السبب الأساسي لكل أنواع التقدم الإنساني، كما أنها وثيقة الصلة بالتجربة الإنسانية برمتها، بحيث لا يمكن تخيل وجود مجموعة من البشر، حتى و لو اقتصرت على شخصين فقط، دون أن تكون هناك لغة للتواصل بينهما، بل قد يصل الأمر إلى أن يخترع الإنسان اللغة، للتواصل مع حيواناته الأليفة. و لو افترضنا أن الإنسان لا يملك لغة، فهو في الحقيقية سيصبح مخلوقا عاديا جدا، إلى الحد الذي لا يمكن التمييز بينه و بين الديدان و الطحالب، لكون اللغة، هي التي يسرت للإنسان الاستفادة من تجارب الآخرين، و حققت له خاصية التراكمية المعرفية.[2] و هي الميزة التي جعلت الإنسان يتحول إلى مخلوق متفوق على غيره من المخلوقات الأخرى.

و لذلك حظيت اللغة باهتمام بالغ من كافة الفروع المعرفية كالدين و الفلسفة و العلم، و كل نظر إليها من زاويته الخاصة، و لكن الجدير بالذكر أن الدراسات اللغوية ليست بمنأى عن الصعوبات البحثية؛ فالإشكالية التي تواجه أي دراسة لغوية، تكمن أساسا في أن القدرة البشرية على تكلم اللغة، تعد النموذج الأمثل، للقدرات التي لا يمكن تفسيرها بمعزل عن غيرها، و بعيدا عن نموذج تام للتنظيم الوظيفي البشري، و الذي بدوره يمكن أن يكون غير مفهوم هو الأخر، ليس بسبب التعقيد، بل

([1])أولندر ، موريس (2016) لغات الفردوس"آريون و ساميون:ثنائي العناية الإلهية"، ترجمة جورج سليمان،هيئة البحرين للثقافة و الآثار، المنامة، ص 62

([2])بنكر ، ستيفن (2000) الغريزة اللغوية(كيف يبدع العقل اللغة)، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني،دار المريخ، الرياض، ص ص 22 ،23

بسبب عدم القدرة على الفهم، لأن القدرات البشرية لا يمكن فهمها كأي موضوع أخر من المواضيع التي تدرسها العلوم الطبيعية.[3] أي إن الإشكاليات التي تواجه الدراسات اللغوية، تتمثل في عدم إمكانية دراسة اللغة بمعزل عن عوامل نشأتها و تطورها، فهي قدرة بشرية مرتبطة بالقدرات الأخرى، كما أن هكذا دراسات لا تخضع لضبط علمي صارم، مما يعني أن سبل حسمها تبدو بعيدة المنال، على الرغم من حرص الكثير من المدارس الفلسفية على تطبيق مناهج علمية على الظاهرة اللغوية.

ثانيا – اللغة و المقدّس

هناك العديد من العوامل التي ترتبط باللغة، و تساهم في نشأتها و انتشارها، كالعوامل الدينية و الاجتماعية و السياسية، فاللغة الإغريقية تمثل نموذجا للتطابق بين مراحل الانقسام و التوحد السياسي بمراحل الانقسام و التوحد اللغوي.[4] و الأمر ذاته يمكن إسقاطه على اللغة العربية، فلقد فرض توحيد العرب سياسيا، تحت سلطة دولة واحدة، أن يتم توحيدهم لغويا أيضا، و ذلك انطلاقا من وحدتهم الدينية، و هذا الأمر أدى إلى امتزاج الديني باللغوي، تحت ضغط العامل السياسي.

كما ساهم التوسع السياسي، و انتشار الإسلام في أرض حضارات أخرى، كانت تعول على العقل، في جعل المسلمين يحاولون مجاراة فكر تلك الأمم و الأخذ بالبرهان العقلي، و تجسد ذلك لغويا في (النحو)،[5] فالتواصل بين الحضارات، يترك أثرا كبيرا بلا أدنى شك، و لكن يمكن ملاحظته بشكل أساسي على اللغة و الدين. فلقد لعبت الحروب و الهجرات دورا كبيرا في تطور و اندثار اللغات، خاصة تلك التي تكون من منطلقات أو لأسباب دينية، كما كان لها الأثر البارز في انتشار و اندثار الأديان أو التعاليم الدينية.

و رغم أهمية كافة العوامل الأخرى المؤثرة في اللغة، إلا أن علاقتها بالمقدس تظل ذات سمة خاصة، إلى الحد الذي دفع (نيتشة) إلى القول: أخشى أن لا نستطيع التخلص من الآلهة لأننا مازلنا نؤمن بالنحو.[6] و من جهة أخرى انطلقت المحاولات الأولى لدراسة اللغة لأسباب دينية، أو مدفوعة بمتطلبات عقائدية، فمنذ الهند القديمة، ارتبط الاهتمام باللغة باستجلاء معاني النصوص المقدسة. [7] فالعلاقة بين بكل جوانب اللغة و المقدس سواء كان نصوصا دينية أو حتى أساطير أو عادات اجتماعية، تعد علاقة وثيقة، فللمقدس علاقة بالتركيب النحوي، كما يرتبط بالمعنى اللغوي.

1– الخصائص المشتركة بين اللغة و المقدس

و العلاقة بين اللغة و المقدس، لا تستند إلى مؤثرات خارجية فقط، بل إلى مجموعة من السمات المشتركة، التي يتفق فيها المقدس مع اللغة، فاللغة و الدين منظومتان محكومتان بالإطار العام للجماعة، إذ تعد المعيار العام الذي يحتكم إليه: ففكرة الجماعة فكرة جوهرية دينيا، سواء بإتباع الجماعة و إعطاء القيمة العليا للعمل الجماعي في أداء كافة الطقوس الدينية. و اللغة أيضا منظومة جماعية: بسبب الوظيفة التواصلية التي لا تتحقق إلا في جماعات ، و بذلك تمثل اللغة نوعا من المؤسسة الاجتماعية، فاللغة كنظام من الأدلة الاعتباطية، لا تكون إلا باستعمال و اتفاق جماعة، و كمؤسسة اجتماعية، تعرف تطورا مشروطا بالمجموعة

([3])تشومسكي، نعوم (2009)، آفاق جديدة لدراسة اللغة و العقل، ترجمة عدنان حسن، دار الحوار، اللاذقية، ص ص 63-65

(4)بيرو ، جون (2001) اللسانيات، ترجمة الحواس مسعودي، مفتاح بن عروس، دار الآفاق، الجزائر ، ص 128

(5)شمس الدين ، جلال (1994) التعليل اللغوي عند الكوفيين مع مقارنته بنضيره عند البصريين، الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ص 7

(6) نيتشة، فريديريك (1996) أفول الأصنام، ترجمة حسان بورقية، محمد الناجي، افريقيا الشرق، ص 33

(7)خليفي، بشير (2010) الفلسفة و قضايا اللغة، الاختلاف، الجزائر، ص 33

التي تتكلمها.[8] و لذا شكّل اللغة و الدين ثنائيا مهما، للتحكم في رؤية الإنسان للعالم، إضافة إلى تحكمهما في تشكل الجماعات البشرية، إذ تتشكل وفقا لوحدة اللغة أو وحدة الدين، و بناء عليه دائما ما يعتبران، أفضل الظواهر التي يمكن من خلالها إجراء دراسة معمقة لأي حضارة أو ثقافة بشرية.[9] فاللغة و الدين منظومتان يتصفان بثبات و ديمومة أكثر من أي ظواهر أخرى، كما أنهما يفرضان عن الإنسان من خارجه، و الاندماج فيهما يتم عبر مراحل، أغلبها لا يكون الإنسان قادرا على الاختيار، و هما من تعرف على العالم من خلالهما.

كما يمكن للتقسيمات الدينية أن تظهر على المستوى اللغوي: فقد أصبحت اللهجة اليهودية–الألمانية، و هي لهجة ألمانية كانت خاصة بيهود ألمانيا، لسانا مشتركا لطوائف اليهود المنتشرة من البلطيق إلى البحر الأسود.[10] و اللغة و الدين، عادة ما يشكلان معا حجابا (يستر/أو يبرر) الكثير من الخطايا؛ و ليس المقصود هنا اللغة كتاريخ (تاريخ اللغة)، أو اللغة كظاهرة عامة تحكمها مجموعة من القواعد syntax، بل اللغة كناقل لرسالة ما، أو محفز لتنفيذ فعل ما، خلال المجالات المختلفة التي تستخدم فيها.[11] أي أن الدين قد يفرض لغة ما أو يساهم في انتشارها، كما قد يسهم الدين في إعادة تأويل لغة ما و إضافة بعد مجازي جديد، من خلال التحكم في الرسالة التي يحملها النص الديني، مما يترتب عليه سلوكيات و قيم أخلاقية.

و في بعض الأحيان ، يشكل الدين و اللغة هوية إثنية أو قومية جديدة Ethnoational Identity.[12] و المعتنقون لدين ما، حين يستخدمون لغة مختلفة عن اللغة التي تستخدمها المجتمعات التي ينتمون إليها، عادة ما يتأثرون سلبا نتيجة هذا الخلاف.[13] و هم بذلك، و كأنهم ينتمون إلى عالمين مختلفين، عالم اللغة المرتبطة بالدين و عالم اللغة المرتبطة بالمجتمع. يزداد الأمر تعقيدا، عندما يمتلك معتنقو الدين، لغة قومية مختلفة عن لغة الدين الذي يعتنقونه و لغة المجتمع الذي يعيشون فيه، فهم بذلك يعيشون ثلاث عوالم مختلفة.

2– اللغة العربية و المقدس

و تعد اللغة العربية مثالا بارزا للعلاقة الوثيقة بين اللغة و المقدس، و ذلك لأن السبب الأساسي لوضع علم النحو هو الدين، إذ كان يهدف لضبط اللغة لكونها لغة النص المقدس (و إلا لماذا لم يحدث ذلك قبل ظهور الإسلام؟) فالحرص على اللغة من الضياع لا يعني شيئا في ذاته، إلا أنه اكتسب معناه عندما أصبحت تلك اللغة لغة مقدسة، لابد من تعلمها لأداء العبادات، و لابد منها لفهم معاني و دلالات النص المقدس، بمعنى آخر إن وضع قواعد اللغة كان القصد منه – و لا قصد آخر غيره– حفظ معاني النص المقدس، و لعل أشهر الروايات في ذلك ما نسب لعمر حينا و ليزيد حينا آخر مع أبي الأسود الدؤلي.

---

(8)بيرو ، جون ، اللسانيات، مرجع سابق، ص 127

(9)RClAMMER, John (1980) Religion and language in Singapore, Evangelos A. Afendras, Eddie C. Y. Kuo (Edit) , Language and Society in Singapore, NUS Press, p 87

(10)بيرو ، جون ، اللسانيات، مرجع سابق ص 33

(11)Downes, William (2010) Language and Religion: A Journey into the Human Mind, Cambridge University Press, p 2

(12) Edwards ,John (2009) Language and Identity: An introduction, Cambridge University Press, p 100

(13)**Myhill**, **John** (2006),Language, Religion and National Identity in Europe and the Middle East, John Benjamins Publishing, p 178

و لقد اقترنت اللغة العربية بأداء الشعائر الدينية، بدءا من نطق الشهادتين وصولا إلى قراءة القرآن، فكان الخلاف فيمن أقر بالشهادتين بالعجمية وهو يحسن العربية، فهل يكون بذلك مسلما؟[14] كما أعتبر البعض نقل معاني القرآن إلى لغة أخرى، يتبعه بالضرورة خلل في الدلالات.[15] إلى حد الفتوى بالصمت بدلا من القراءة بلغة أخرى.[16] و يرى الحنفية أن هناك كراهة تصل إلى التحريم، لمن ينطق بتكبيرة الإحرام بغير اللغة العربية، و هو قادر على النطق بها. و هو مقارب لرأي المالكية إلا أنهم أسقطوا عن الأعجمي التكبير، و يدخل الصلاة بالنية.[17] فالخلاف هنا على إسلام من نطق الشهادة بغير العربية، و الإفتاء بالصمت بدلا من قراءة القرآن بلغة غير العربية أو التكبير بغيرها، و هذه الخلافات و النقاشات، هي دلالة واضحة على الارتباط الوثيق بين اللغة و المقدس.

3– مستويات قدسية اللغة

و العلاقة بين اللغة و المقدّس، أو تقديس اللغة، لم يكن يأتي في سياق أو مستوى واحد، بل كانت له سياقات عدة، و لابد من تمييزها، لكي يتسنى الربط بين هذه المستويات و بين بعض الأفكار الفلسفية، فوفقا للرؤية الدينية، كإجابة للسؤال عن أصل اللغة، هناك من يرى أن اللغة مقدسة لأنها لغة الله Gad's language التي خاطب بها الأنبياء، و أنزل بها النصوص، أو هي محاكاة للغة الله، و تصبح تبعا لذلك، لغة لأهل الجنة (الفردوس) paradisiacal human language.[18] أو هي اللغة الأصلية للبشرية، كما فعل أوغستين إذ أعتبر أن العبرية هي لغة البشر الأصلية. [19] و هذه الرؤية تقدس اللغة لكونها لغة الله أو شبيهة بلغته، حتى لو لم ترتبط بنص مقدس.

و قد نالت اللغة قداسة أخرى من خلال ارتباطها بالنص المقدس، بغض النظر عن أصلها، فكل لغة نزل بها وحي من السماء، اكتسبت تلقائيا قدسية ذلك الوحي. كما أن هناك صلة لا تقل جوهرية بين اللغة و الدين، تتمثل في الربط بين اللغة و بين أداء شعائر الدين،[20] فحتى الأديان الوضعية التي يطغى عليها طابع التعاليم الأخلاقية و لا تهتم كثيرا بالغيبيات (ديانات الشرق القديم)، و الأديان التي يغلب عليها الطابع الأسطوري، و لا تعطي الآلهة منزلة رفيعة، بل تجعلهم أقرب إلى البشر في صفاتهم (كاليونان) ، إضافة إلى الأديان السماوية (اليهودية–المسيحية–الإسلام) كلها ترى أن لغاتها التي كتبت بها نصوصها المقدسة، هي لغات مقدسة، و لابد أن تكون اللغة الرسمية لأهل الجنة، و يتفقون في ذلك مع من يرون أن اللغة مقدسة لأنها لغة الله.

([14])النووي ، أبو زكريا (بدون)،المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج (1)،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 149

([15])زيدان ، محمود فهمي (1985) في فلسفة اللغة، دار النهضة، بيروت ، ص 150

([16]) وأما صلاتها باللغة الإنجليزية فلا تصح ما دامت قادرة على التعلم، وأما قبل التمكن من التعلم فإنه يصح أن تترجم أذكار الصلاة باللغة الإنجليزية، وأما قراءة الفاتحة فلا يصح بل تأتي بدلها بذكر مثلها باللغة العربية، فإن عجزت عنه بالعربية فلها أن تترجمه بلغتها، فإن عجزت عنه بلغتها فإنها تسكت قدر قراءة الفاتحة ثم تركع وتتم صلاتها فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها. (اللجنة الدائم للإفتاء بالسعودية/رقم الفتوى: 68258)

([17])الجزيري ، عبد الرحمن (بدون) الفقه على المذاهب الأربعة، ج (1)، دار الكتب العلمية، ص 247

([18])Düttman, Alexander García (2000) Gift of Language, A&C Black, p 75

([19])Olender ,Maurice (1992) The languages of Paradise: race, religion, and philology in the nineteenth century, tans by Arthur Glodbammer, Harvard University Press, p 1

([20])زيدان ، محمود فهمي، في فلسفة اللغة، مرجع سابق، ص 150

أما المستوى الأخر من القداسة، فهو ينظر إلى اللغة بوصفها هبة الله، للجنس البشري، فالإنسان كائن قاصر، على أن يبتكر هكذا أداة تواصل، و التي تحتاج إضافة للقدرات العقلية الفذة، إلى مدة زمنية طويلة، و أن المؤشرات تفيد بأن الإنسان اكتسب اللغة بعد فترة وجيزة من وجوده في هذا الكون. (الإشكاليات المنطقية بكيفية التوافق البشري).[21] ففي الإسلام علم الله آدم الأسماء كلها(*)، أما نصوص التوراة فتحدثت عن دعوة أدم لكل حيوانات البرية بأسمائها(**)

فقد تكون اللغة مقدسة لأنها لغة الله، أو لأن الله منحها للإنسان، أو لأنه الله شرفها بجعلها لغة النص المقدس و لغة أهل الجنة، أي أن اللغة قد تكون مقدسة سواء وفقا للنظرية التوفيقية أو حتى التوافقية، لكون التوافق جاء بإلهام من الله، و هذه النظريات تعرضت لانتقادات عدة، فهذا التفضيل لا معنى له لأن وجوه الفضل معروفة، وإنما هي بعمل أو اختصاص ولا عمل للغة؛ ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة.(***) أما ارتباط اللغة بالنص المقدس، فذلك لأن الله أرسل كل رسول بلغة قومه. و حتى تعلم آدم للأسماء، لم يكن لم يكن الأمر من باب تعلم اللغة لكي يؤدي بها الوظائف التواصلية المتعارف عليها للغة، بل علمه الأسماء من باب التفضيل على الملائكة.

الأهم من كل ذلك أن العلاقة بين اللغة و المقدس تثير الكثير من الأسئلة، لعل أهم هذه الأسئلة هو تحديد أيهما التابع و أيهما المتبوع؟ فلكل منهما مميزاته التي تجعل منها متبوعا، و نقائصه التي تجعل منه تابعا، بمعنى أخر، هل اللغة و قواعدها تستمد من النص الديني؟ أم أن النص الديني ينزل متفقا بمعناه و قواعده مع مع تفرضه تلك اللغة؟ فمن جهة، فاللغة أسبق زمنيا من النص الديني، لكون النص ينزل بلسان قوم النبي، أما النص الديني فهو مقدس، و هو كلام الله، الذي يجب أن يتوافق معه كلام البشر، و ليس العكس. و لا يسع المجال للإجابة على كل هذه الأسئلة، بقدر ما يمكن فتح المجال أمام خطوط عريضة للإشكاليات التي تثار في سياقها.

ثالثا: اللغة و الفلسفة

ليست الفلسفة استثناء، من حيث اهتمامها بالظاهرة اللغوية، بل يمكن القول أن أكثر الفروع المعرفية التي أولت اهتماما بالغا باللغة، هي الفلسفة، فلقد أتخذ العديد من الفلاسفة، اللغة كحد لتمييز الإنسان، فنجد أن سقراط، قد قال في جملته الشهيرة "تكلم حتى أراك" في دلالة على أن وجود الإنسان الفعلي لا يتحقق إلا عندما يعبر الإنسان عن نفسه و أفكاره، و أن ذلك لا يتأتى إلا باللغة. كما أن أرسطو ميز بها الإنسان عن بقية المخلوقات، وفقا للقضية القائلة أن "الإنسان حيوان ناطق".

و لأن اللغة تبدو مصدرا لكثير من المشاكل، أصبحت وثيقة الصلة بالفلسفة، و التي كانت من أهم سمات القرن العشرين. كما أن الفلاسفة لم يكتشفوا اللغة فجأة في هذا القرن، فثمة كثير من الحديث عن اللغة، عند (أفلاطون) في

([21]) Düttman . Alexander García, Gift of Language, p 75

(*) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31/البقرة) هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة ، بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم (تفسير ابن كثير)

(**) " وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا، وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا. " آية (تك 2: 19) الإصحاح الثاني

*** انظر ابن حزم (بدون) الإحكام في أصول الأحكام، (ج 1)، دار الآفاق، بيروت، الباب الرابع (في كيفية ظهور اللغات أعن التوقيف ؟ أم عن اصطلاح ؟)

(النيوتتوس)، كما نجده عند (لوك)، الذي وضع كتابا كاملا عنها، و ثمة نظرية في اللغة عند (هيوم)، ، لذا فإن الاكتشاف ليس معاصرا... و هناك تطورات أكثر حداثة، قادتْ مباشرة إلى جعل اللغة قطب الرحى في الفلسفة. و فلسفة اللغة المعاصرة، بدأت حقيقة، بأعمال الفيلسوف و الرياضي الألماني (جوتلوب فريجة)، في نهاية القرن (19)، و رسل في مطلع القرن (20).[22] و عمق الصلة بين الفلسفة و اللغة، دفعت البعض إلى توجيه النقد للفلسفات المعاصرة التي لم تهتم باللغة، كالفلسفة الوجودية مثلا.[23] فالارتباط بين اللغة كإشكالية و بين الفلسفة قديم جدا، إلى درجة يمكن العودة بجذور هذه العلاقة إلى المحاورات الأفلاطونية، إلا أنها لم تصبح فرعا فلسفيا إلا حديثا، و حتى الانتقادات الموجهة للوجودية، كانت لأنه لم تجعل اللغة موضوعا أساسيا في أفكارها، و ليس لأنها غضت الطرف عن اللغة بشكل نهائي، لأن هيدجر له دراسات حول اللغة و الكلمة.

و الفائدة المرجوة من معالجة اللغة من زاوية فلسفية، هي تمكُّن الإنسان من إحداث مقاربة متفردة لفهم واقعه، لأن علاقة الإنسان بوجوده لغوية، كما أن اللغة هي مدخل الوعي. و الوجود برمته، هو عالم تملأه كائنات مفاهمية... إن الفلسفة أساسا تحليل مفاهيمي، و على هذه الشاكلة، تفضي نظرية في فلسفة اللغة، إلى نظرية شاملة الفلسفة.[24] و من هنا ذهبت بعض التيارات الفلسفة إلى اعتبار أن الفلسفة برمتها ما هي إلا تحليل لقضايا اللغة، أي أن الفلسفة تكاد تنحصر في فلسفة اللغة، لا سيما عند (فريجة) و (فتجتشين)، إذ أن مهمة الفلسفة، تكون بتخليص الفكر من تلك الأوهام التي تسببها اللغة، أو بمعنى أدق الاستعمال غير الصحيح للغة.

1– القضايا الأساسية لفلسفة اللغة

و يعد السؤال عن أصل اللغة من أهم المشكلات المركزية التي تم تناولها فلسفيا خلال القرن الـ(18) بل و حتى القرن(20).[25] و إن كان هناك من يرى أن الإشكالية لا معنى لها أساسا، فمن جهة لا يمكن الإجابة عن سؤال أصل اللغة لا تاريخيا و لا منطقيا، و لن تعود علينا الإجابة بشيء.[26] إلا أنه و في كل الأحوال، و مع افتراض أن الإجابة على أسئلة أصل اللغة غير ممكنة، فإشكالية نشأة اللغة و تطورها، ليست إشكالية ثانوية، بحيث يمكن تجاوزها جدلا. و لقد كان هناك خلاف واسع جدا، بين العلماء حول إشكالية نشأة اللغة، و يرجع ذلك بصفة عامة، لاختلاف الزاوية التي ينظر من خلالها لطبيعة اللغة نفسها، و تدور النظريات حول افتراضين، إما أن تكون اللغة منحة ربانية، أو اتفاق بشري.

و هناك من يرى أن الصلة الحقيقة بين اللغة و الفلسفة، و التي تجعل اللغة ذات أهمية فلسفية، هي تلك الإشكاليات التي تتعلق بنظرية المعرفة و الميتافيزيقا، و هي بطبيعة الحالة إشكاليات لها انعكاسات على طبيعة اللغة، و هذه الإشكاليات المتعلقة بطبيعة اللغة، هي التي تجعل منها، رافدا مهما من روافد الاختلافات و الجدليات الفلسفية،[27] و تصنف تلك

([22])سيرل ، جون (1998) فلسفة اللغة، براين ماغي (تحرير)، رجال الفكر ، ترجمة نجيب الحصادي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ص ص 342- 344

([23])جعفر ، عبدالوهاب (2008) الفلسفة و اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 9

([24])خليفي، بشير ، الفلسفة و قضايا اللغة، مرجع سابق ، ص 13

([25])Trabant , Jürgen (2001) New perspectives on an old academic, Sean Ward , Jürgen Trabant (Edit) New Essays on the Origin of Language, Walter de Gruyter, p 1

([26])muller , F.M. (1996) the origin of language, Roy Harri (Edit) Origin Of Language,A&C Black, p 8

([27])Hacking , Ian (1975) Why Does Language Matter to Philosophy, Cambridge University Press, p 1

الإشكاليات في إطار فلسفة اللغة، و التي من أبرزها، علاقة اللغة بالفكر، و هل اللغة مجرد وسط شفاف، ينقل لنا نتاجات الإنسان المختلفة، دون أن يكون له أي تأثير عليها، أو يكون لتلك النتاجات تأثير على اللغة، و أيهما أسبق على الأخر الفكر؟ أم اللغة؟ و برزت ثلاث نظريات أساسية، ترى الأولى و التي يتبناها (واطسون) أن هناك انصهار بين اللغة و الفكر، بينما ترى الثانية التي أخذ بها (جون ديوي)، أن هناك استقلال نسبي بينهما، و ترى الثالثة أن هناك انفصال تام بينهما، بل قد تكون اللغة عائق أمام الفكر كما هو الحال عند (برجسون).

كما عالجت فلسفة اللغة العلاقة التي تربط اللغة بالعالم، و لعل أبرز من يمكن ذكرهم في هذا السياق هو (فجتنشتين)، و الذي يرى أن وظيفة اللغة الأساسية هي وصف العالم الخارجي، و الذي يرى أيضا أن هناك تطابق بين اللغة و العالم أو الواقع الخارجي، فكما تنحل اللغة إلى قضايا، ينحل العالم إلى وقائع. و لهذا السبب نجد أن (فجتنشتين) بدأ تحليله للغة بتحليل العالم نفسه. [28] و لذلك نجد أن كلمة العالم هي أول المصطلحات استخداما في رسالته، و كأنه كان يقصد من وراء ذلك، أن يقول أن فهم منطق اللغة لا يمكنه أن يتم بمعزل عن فهم منطق العالم، فالعالم على النحو الذي تصور (فجتنشتين) يعد شرطا أساسيا، في سبيل أن تحقق اللغة ماهيتها. [29]

و على الرغم من هذه الصلة الوثيقة بين الفلسفة و اللغة، و أهمية القضايا التي تتناولها فلسفة اللغة، إلا أن هناك تجاهل كبير في الأوساط الفلسفية العربية لهذا الفرع الفلسفي، و الذي على الرغم من تأثره، بالتيارات الفلسفية الغربية، إلا أن التفلسف حول اللغة، و التيارات و المدارس الفلسفية التي تعنى باللغة، نادرا ما كان له التأثير البارز على المفكرين العرب، و في أحيان أخرى، كانت محل نقد و استهجان، كما حدث مع موقف المفكرين و العامة، من تبني زكي نجيب محمود للفلسفة الوضعية المنطقية، و خاصة فيما يتعلق بالجوانب اللغوية. إلا أننا في المقابل نجد قبولا واسعا للبنيوية، كما في كتابات جابر عصفور، و صلاح فضل و كمال أبو ديب، و لا يسع المجال للحديث عن القبول العربي للبنيوية دون غيرها من الفلسفات اللغوية الغربية[*]. و هذا ما يفتح الطريق أمام سؤال مشروع، عن أسباب النفور العربي من التفلسف حول اللغة، و عن القبول المنقطع النظير للتيار البنيوي في الأوساط الثقافية العربية، و ما هو ما يتطلب عرضا لأسس موقف الفلسفة البنيوي من بعض قضايا اللغة.

ثالثا: البنيوية و قدسية اللغة.

لقد انطلقت البنيوية بشكل أساسي من النموذج اللساني الذي وضعه دي سوسير، في كتابه (محاضرات في علم اللغة العام)، و طبق في مجالات أخرى مثل الثقافة و الانثربولوجيا و علم النفس. [30] و لذلك تلعب اللغة دورا مركزيا في فكر بارت و فوكو و دريدا و لاكان، دورا لا يقل في أهميته عن الدور الذي تلعبه في أنثربولوجيا ليفي شتراوس، حتى ليمكن القول أنهم جميعا مهووسون بها. [31] و مفهوم اللغة واسع إلى حد كبير جدا، كما هو عند شتراوس، إذ أعتبر أن كافة أشكال التواصل الاجتماعي، و كافة البنى الاجتماعية، هي في الحقيقة مرادفة للغة، و ذلك لأنه يرى أن التفكير الرمزي و هو وجه التشابه بين اللغة و الثقافة

([28])إسلام ، عزمي (بدون) لدفيج فجتنشتين، دار المعارف، القاهرة ، ص ص 81 ، 82

([29])حمود ، جمال (بدون) فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ص 122

([*]) انظر حمودة ، عبدالعزيزي (1998) المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت ، ص ص 13-63

([30])جعفر ، عبد الوهاب (2012) مبادئ الفلسفة و قضاياها المعاصرة، دار الوفاء، الإسكندرية ، ص ص، 252، 253

([31])ستروك ، جون (1990) البنيوية و ما بعدها، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت ، ص 17

الاجتماعية، هو الذي يجعل الحياة الاجتماعية ممكنة، و هو نابع من البنى اللاشعورية للنفس الإنسانية.[32] و أعتبر لاكان أن الإنسان يتكلم، و لكن هذا يتحقق لأن الرمز جعله إنسانا، فالطفل يدخل إلى عالم اللغة، لأنه تعرف على ذاته، و بالتالي تصبح اللغة، و العوامل الثقافية جوهرية جدا.

1- نشأة اللغة (هبة الله للبشر)

و من أبرز النقاط التي التقت فيها الفلسفة البنيوية مع الرؤية الدينية لقدسية اللغة، هي تصورهما لنشأة اللغة، و هي قضية ذات أهمية كبرى لدى البنيويين؛ فظهور اللغة المنطوقة له أهمية كبرى لدى الأنثربولوجيا البنيوية، و هو المشكل الأساسي المعنية به، و هو ما أكد عليه شتراوس إذ أعتبر أننا حين نتمكن من إيجاد حل لمشكلة أصل اللغة، فإننا حينها سنفهم كيف يمكن إدماج الثقافة في الطبيعة، فالبحث عن أصل اللغة هو بحث عن مفتاح لفهم الثقافة و كيفية نشأتها.[33] و الفصل بين الثقافة و الطبيعة، يعني بشكل أخر، الفصل بين ما هو فطري يرجع لطبيعة الإنسان، و بين ما هو ثقافي، جاء عن طريق التعارف و الاتفاق وسط التجمعات البشرية، و هاتين النقطتين يشكلان كما أسلفت، صلب الاختلاف بين نظريات أصل اللغة.

و يعد (شتراوس) من أهم الفلاسفة البنيويين الذين تبنوا مبدأ فطرية اللغة، و الذي يفضي بطبيعة الحال، إلى كونها من مصدر إلهي، و إن كان لم يصرح بذلك، و حاول أن يرجع الأمر إلى العقل، إلا أن تأكيده على النسق الميتافيزيقي القبلي، يجعل نظريته أقرب إلى النظريات الدينية، و لقد صاغ نظريته من خلال ما سبق الإشارة إليه، من محاولة الفصل بين الطبيعة و الثقافة، فعلى الرغم من أن شتراوس يعترف بصعوبة هذا الفصل بين الطبيعة و الثقافة، إلا أنه يرى بإمكانية تجاوز هذا السؤال، من خلال الاتفاق على معايير عامة، هي أقرب إلى المعايير النظرية، تسمح بتصنيف اللغة، هل هي أقرب إلى الطبيعة أم إلى الثقافة؛ و من تلك المعايير، أن كل ما يتصف بالكلية و الضرورة، يعد من فئة الطبيعة، أما كل ما هو مؤقت و جزئي و محدود، يعتبر من فئة الثقافة.[34] و تعد اللغة من الأشياء الكلية و الضرورية و الأشياء التوافقية في ذات الوقت، بمعنى أخر، هي توافقية و لكنها توافقية بمساعدة إلهية.

أما (ميشيل فوكو) فيشير صراحة إلى أن اللغة هبة من الله، إذ يقول:"كانت اللغة في شكلها الأول، حين وهبها الله نفسه للناس، شارة أكيدة و شفافة بشكل مطلق للأشياء لأنها تشبههم. فالأسماء وضعت على ما كانت تشير إليه... إن هذه الشفافية قد حطمت في بابل عقابا للبشر[*]. و اللغات لم تنفصل بعضها عن بعض الأخر، و لم تصبح غير متلائمة مع بعضها إلا بقدر ما أزيل أولا هذا التشابه بالأشياء، الذي كان السبب الأول في وجود اللغة، كل اللغات التي نعرفها لا نتكلمها الآن، إلا

([32])جعفر ، عبدالوهاب (1980) الانثربولوجيا البنيوية و موقف سارتر منها، دار المعارف، الإسكندرية ، ص 34

([33])الداوي ، عبدالرزاق (1992) موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت ، ص 84

(34) السابق، ص 85

([*]) لقد جاء في سفر التكوين الإصحاح 11 من 1 إلى 7 (و كانت الأرض كلها لسانا واحدا ولغة واحدة 2 وحدث في ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار وسكنوا هناك 3 وقال بعضهم لبعض: هلم نصنع لبنا ونشويه شيا. فكان لهم اللبن مكان الحجر، وكان لهم الحمر مكان الطين 4 وقالوا: هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء. ونصنع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه كل الأرض 5 فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما.6 وقال الرب: هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم، وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه 7 هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض)

على أساس من هذا التشابه الضائع، و في المدى الذي تركه خاليا." [35] و يعتمد فوكو في نظريته بشكل صريح، على نصوص العهد القديم، و ما ترويه عن قصة تحدث لبشر بلغة واحدة، ثم نزول الله لمعاقبتهم على أفعالهم، فحرمهم نعمة التفاهم، ففرق ألسنتهم، لكي لا يفهم بعضهم بعضا، و من هنا جاء تعدد اللغات.

كما يتبنى فوكو فيما يتعلق بلغة الإنسان الأول، النظرية الدينية القائلة بأنها اللغة العبرية أو التي كتب بها العهد القديم، إذ يقول:"و ليس هناك سوى لغة واحدة احتفظت بذكراه، لأنها مشتقة مباشرة من هذا المعجم الأول المنسي، لأن الله لم يرد أن يفوت عقاب بابل ذكريات البشر، لأن هذه اللغة قد استخدمت لرواية العهد القديم لله مع شعبه، و لأن الله أخيرا قد خاطب بهذه اللغة من كانوا يصغون إليه؛ فاللغة العبرية تحمل إذا، شأن الأنقاض، علامات التسمية الأولى، و هذه الكلمات التي لفظها آدم فارضا إياها على الحيوانات. فاللغات الأخرى فقدت هذه التشابهات الجذرية، و التي احتفظت بها اللغة العبرية وحدها، لتبين أنها كانت قديما اللغة المشتركة لله و لآدم و لحيوانات الأرض الأولى."[36] فهو يميز هنا بين لغة أصلية هي العبرية و لغات أخرى أشبه باللعنات الإلهية، و التي ليس لها أي جذور مشتركة، كما أنه يرى أن العقاب الإلهي لم يشأ أن يحرم الإنسانية من ذكرياتها، فأحتف باللغة الأولى التي حفظت بها تلك الذكريات.

2– اللغة كوسيلة للتواصل (التوافقية و نشأة اللغة)

من أهم الزوايا التي نظر إلى اللغة من خلالها، هي زاوية الوظيفة التي تؤديها، لأن تلك الوظيفة ستؤثر بطبيعة الحال على نشأة اللغة و شكلها و تطورها، و لهذا ذهب البعض إلى القول، بأن اللغة تأثرت بشكل أساسي، بالأهداف التي أنيطت بها، و الوظائف التي أسندت إليها، لأن شكل اللغة و تطورها، لابد أن يتبع الوظيفة التي أوكلت إليها.[37] فالشكل الذي تبنى على أساسه اللغة، سيكون نابعا من الوظيفة التي ستؤديها. باختصار، يمكن القول أن وظيفة اللغة، يمكن من خلالها تحديد طبيعة نشأة اللغة و تطورها، فإذا عرفت الأسباب التي لأجلها وجدت اللغة، يمكن من خلالها، استنباط طبيعة تطور اللغة وفقا لتلك الوظيفة.

و اللغة من الناحية الخارجية، هي مجرد أداة تواصلية، و لا يمكن تخيلها بدون وجود مجتمع، و لا وجود للغة إلا كوسيلة تواصلية.[38] و في عصرنا الراهن، نعيش عصر الكلمة سواء كانت منطوقة أم مكتوبة، فنحن نستخدم اللغة في كل أوجه حياتنا، فنستخدمها في الشعائر الدينية كما نستخدمها في المناسبات الاجتماعية، نستخدمها في الصلوات و في الأشعار. كما نستخدمها بشكل المكتوب في تدوين كل شيء و نقله إلى غيرنا، في زمان و مكان أخرين.[39] أي أن التواصل يأخذ أشكالا كثيرة، ابتداء من التواصل ذي الصبغة المقدسة، مرورا بتواصل الإنسان مع محيطه و أقرانه.

فاللغة تتطلب وجود مجتمع، فلا يمكن للنظام اللغوي أن يوجد بدون جماعة تستخدمه، لكون اللغة ليست هدفا لذاتها، بل هي وسيلة للتواصل بين أفراد الجماعة.[40] فبواسطة اللغة يتم التواصل بين الأفراد و الجماعات، و بها يستطع البشر التفاهم و

(35)فوكو ، ميشيل (1990) الكلمات و الأشياء، ترجمة مطاع صفدي، سالم يفوت، و آخرون، الإنماء الوطني، بيروت ، ص 53

(36) السابق، ص 53

(37)كوبر ، روبرت ل. (2006) التخطيط اللغوي و التغير الاجتماعي، ترجمة خليفة أبوبكر، مجلس الثقافة، القاهرة ، ص 228

(38)بيرو ، جون ، اللسانيات، مرجع سابق، ص1

(39)خرما ، نايف (1990) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت ، ص 60

(40)حجازي ، محمود فهمي (1992) مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة، القاهرة ، ص 12

تبادل المعارف و الأحاديث و الأوامر و الحكم و كل ما يتطلبه التواصل البشري، كما تدخل اللغة في التواصل التاريخي، و الذي عادة ما يكون بشكل مكتوب-إضافة إلى التراث الشفهي- فمن لخلال اللغة، تم تواصل الشعوب و الحضارات، من شعب لأخر، و من عصر لأخر. و أكثر أنواع التواصل حساسية، هو التواصل الديني المقدس، حيث تكون اللغة هي الوسيلة التي يخاطب بها الله الأنبياء، كما تصاغ أوامره و نواهيه في رسائل مكتوبة، و التي تشكلها النصوص المقدسة، فاللغة المنطوقة أو المكتوبة، هي التي تنتقل من خلالها الرسائل الإلهية إلى البشر، في المقابل، لا سبيل إلا باللغة ليناجي الإنسان ربه، و يخبره بما يتمنى و ما يخشى، فاللغة هي الوسيلة الإنسان ليطلب الخير و يدفع الشر.

و لقد تبنت البنيوية هذا التصور، و إن لم يكن بشكل صريح، إذ أيدت الوظيفة التواصلية للغة، و بناء على تلك الوظيفة، حددت طبيعتها اللغة و شكلها، معتبرة أن الوظيفة التواصلية، جعلت اللغة تأخذ شكلها التوافقي، إلا أن هذا التوافق، لا يصدر عن وعي الإنسان و إرادته، بل هو توافق نابع من تصور ميتافيزيقي فوق مستوى البشر، فإذا كان كل فرد ينتمي إلى وحدة لسانية مستخدما عدد من الأنماط الصوتية المتماثلة لجميع الذوات، مما يعني أننا أمام ظاهرة تؤكد فكرة الغائية اللاشعورية، التي تتعدى الفرد، بوصفها وسيلة تفاهم لا يضارعها أي مشروع بشري.[41] فوظيفة اللغة التي بناء عليها تشكلت طبيعتها، تنفي أي دور إنساني أو فردي، بل إن هذا الشكل التوافقي، هو تعبير عن سيطرة تصور ميتافيزيقي سابق على وجود الفرد و اللغة معا؛ فالأفراد لا يتوافقون خلال التواصل، على معاني الكلمات، بناء على إرادتهم، بل هم مرغمون على ذلك بدافع من قوى ميتافيزيقية، تقودهم إلى غاية لا شعورية.

أما مصطلح الغائية اللاشعورية فهو في الفلسفة يعني أن أشياء الطبيعة ترنو في مسيرة وجودها إلى تحقيق غرض أو غاية تجهلها الكائنات و يعلمها الله. و هذا الفرض ليس في نهاية المطاف سوى اعتراف بخالق الكون مبدعه؛ و كان الأحرى بهم أن يقولوا أن الله سبحانه و تعالى خلق الإنسان و خلق فيه القدرة التي تمكنه من التواصل عن طريق اللغة.[42] و حتى إن لم يستخدم البنيويين ألفاظا دينية بشكل صريح، إلا أنهم يشيرون بشكل أو بأخر، إلى أن الله هو من غرس هذا التوافق داخل فطرة البشر، ليتح لهم التواصل فيما بينه و التواصل مع الله، و هذا التصور للطبيعة التواصلية للغة ذات الطابع المقدس، هو ذاته التصور الديني لنشأة اللغة.

و ترى البنيوية من جهة أخرى، أن التحليل العميق للتواصل عن طريق اللغة، إنما يبين كيف أن اللغة إلى جانب القيم الأخلاقية و الاجتماعية و الثقافية، تكون تعبيرا عن واقع روحي، يشمل جميع الأفراد و يعني بالنسبة لهم مصدرا و سببا لوحدتهم. و هنا يتضح أن الفونولوجيا تكشف عن ميتافيزيقا للتفاهم البشري هي سند لعلوم الأخلاق. فعثرت البنيوية بمناهجها الجديدة على ما يمكن أن يرد إلى القيم الأخلاقية، حيث كشفت عن طريق اللغة أنها تعبر عن واقع روحي يشترك فيه جميع البشر، مما يبرر التقائهم حول قيم أخلاقية ثابتة، فالإنسان كائن أخلاقي بطبيعته.[43]

(41)جعفر ، عبدالوهاب ، مبادئ الفلسفة و قضاياها المعاصرة، مرجع سابق، ص 262
(42)السابق، ص 262
(43)السابق، ص 263

و بهذا نجد أن البنيوية، تعطي للغة وظائف كثيرة، أو بالأحرى تكشف عن أسرار كامنة تقف خلف هذا التواصل اللغوي، فهي تعتبره نوعا من التواصل المبني على نسق لا شعوري ميتافيزيقي، أي نسق ديني صادر عن قوى غيبية، و إن لم تقل البنيوية ذلك صراحة، لأن البنيوية ترى باستحالة أن يكون هذا التوافق شيئا بشريا، كما أن البنيوية ترى طبيعة روحية لهذا التواصل اللغوي، يعبر عن خلفية أخلاقية، فالرغبة في التواصل بين البشر، تفترض أنهم يملكون رؤية أخلاقية تدفعهم إلى ضرورة العيش المشترك.

3– التزامنية Synchronic و التعاقبية Diachronic

لعل أهم الأسئلة التي طرحت على مر تاريخ الدراسات اللغوية، هو السؤال الذي طرح عن كيفية التطور اللغوي، فهل يجب أن ينظر إلى اللغة على أنها وسيلة لا تتأثر بالتعاقب الزمني؟ أم هي أشبه بالإرث التراكمي الذي يتطور عبر المراحل التاريخية المتعاقبة؟ بمعنى أخر، هل يجب أن نأخذ بعين الاعتبار، التطور التراكمي و البعد التاريخي للغة؟ أم يمكن تجاهله، و التركيز مباشرة على اللغة في حقبة زمنية محدده، بوصفها ظاهرة متكاملة.

و لقد أشار دي سوسير لهذين البعدين، لدراسة اللغة، الأول هو التزامنية التي تعالج اللغات بوصفها أنظمة اتصال تامة في ذاتها في أي زمن، و البعد الثاني هو الدراسة التعاقبية التاريخية و التي تعالج فيها تاريخيا عوامل التغيير التي تخضع لها اللغات في مسيرة الزمن، و لكل من البعد التزامني الوصفي، و البعد التعاقبي التاريخي مناهجه الخاصة و أساسياته. (44) الجدير بالذكر أن الدراسات اللغوية، كانت مشغولة دائما بالدراسات التاريخية، و لم تشغل نفسها بالبحث في بنية اللغة نفسها بوصفها ظاهرة معزولة عما حولها.

و الدراسة التعاقبية أو التاريخية للغة، تقوم أساسا على البحث في تطور اللغة الواحدة عبر القرون، و إن كان الباحثون يرفضون كلمة التطور، باعتبار أنها تحمل دلالة الارتقاء، أي الانتقال من الحال إلى الأفضل منه، و هذا الحكم يتعذر في مجال اللغة، فلا يمكن القول بوجود صيغة أفضل من صيغة، و لذلك يرى الباحثون المعاصرون أن ما يحدث للغة هو تغير، دون أن كون تطورا بالضرورة، فاللهجات تعد تغيرا لغويا و ليست تطورا لغويا... و يشار في هذا السياق إلى الدراسات اللغوية المقارنة، التي تتبع العلاقات بين اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة، إذ أنها بذلك تكون ذات صبغة تاريخية. (45)

إلا أن البنيوية وجهت انتقادات كثيرة للدراسات التاريخية التعاقبية و الدراسات المقارنة، معتبرة أنها تتنافى مع طبيعة اللغة، كما أنها لا تقدم جديدا لعلم اللغة. و ينادي سوسير بأهمية النظر إلى اللغة على أنها نسق system، و ذلك على اعتبار أن المجتمع هو مجموعة من الأنساق التي يتألف كل منها من عدد من النظم و الظواهر المتكاملة و المتساندة وظيفيا، و أنه لكي نفهم سلوك الفرد أو تجربته، فإنه يتعين علينا دراستها بالإشارة إلى كل الأنساق و النظم و المعايير السائدة في ذلك المجتمع. (46) فالبنيوية ترى أن اللغة نسق مغلق، و هي في علاقة مع بقية أنساق المجتمع، و لا يمكن فهمها إلا من خلال تلك الأنساق، و لذلك لابد من دراسة اللغة بشكل تزامني، بحيث تدرس في سياق بقية الأنساق خلال مرحلة زمنية محددة.

---

(44)روبنز ، ر.هـ. (1990) موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت ، ص 288

(45)حجازي ، محمود فهمي ، مدخل إلى علم اللغة، مرجع سابق، ص 24

(46)أبوزيد ، أحمد (1995) مدخل إلى البنائية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة ، ص 71

و أهم الأسباب التي دعت البنيويين إلى تبني الدراسات التزامنية، هي العلاقة بين الدال و المدلول، فالعلاقة الاعتباطية بين الدال Signifier والمدلول Signified، هي التي دفعت دي سوسير و من بعده المدارس البنيوية، إلى التأكيد على أهمية الدراسة التزامنية، و يمكن الحديث عن أمثلة كثيرة، تغيرت فيها معاني الألفاظ عبر مراحل زمنية مختلفة، و لقد أكد دي سوسير على أن تاريخ الكلمة لا يفيدنا في معرفة معنى الكلمة العادي، بل غالبا ما يكون بعيدا عن معناها. (47)

بمعنى أخر، لقد رأت المدرسة البنيوية، أن الدراسات التاريخية، التي تدرس تطور المعنى، تتبع سرابا لا يمكن الوصول إليه، فهي تحاول تتبع تطور المعنى، الذي يقوم أساسا على العلاقة بين الدال و المدلول، و هذه العلاقة في أساسها علاقة اعتباطية، أي أن تحولها و تطورها، لا يسير وفقا لقوانين ثابتة، بحيث يسمح تتبعها بالوصول إلى القوانين المتحكمة في هذا التغير و التطور. و المعنى وفقا لهذه الرؤية، يكون محصورا في النسق الرمزي الذي ينتمي إليه، و هو نسق ينتمي إلى حقبة زمنية محددة، تعد وليدة لمجموعة من العوامل السياسية و الاجتماعية و الدينية، و هي التي تتحكم في تلك المنظومة، و هي التي من خلال معرفتها تسمح بمعرفة المعنى الرمزي.

الجدير بالذكر في هذا السياق، أن الدراسة التعاقبية، تفترض البحث عن الأصل، كما قد يقود ذلك، إلى المقارنة بين لغة و أخرى، في حال تبين أن هناك ما هو مشترك بينهما. بينما التزامنية، لا تقوم على مثل هذه المقارنات، لكونها تنظر إلى اللغة على أنها نسق مغلق. و لهذا نجد أن التيارات و المدارس التي ترى أن اللغة مقدسة و لا يجوز مقارنتها و لها وظائف سامية، تعتمد على الدراسة التزامنية، أي أخذ اللغة خلال حقبة تاريخية محددة، و تعميمها على كافة الحقب التاريخية، بينما تميل المدارس النقدية إلى دراسة اللغة من خلال الدراسات المقارنة، مما يجعلها عرضة للتقييم جنبا إلى جنب مع لغات أخرى، مما ينتج عنه غالبا، الكشف عن استعارات و حركة انتقال متبادل للألفاظ.

كما أن التزامني، أو النسق غير التاريخي، يمثل التنكر للتفسير من حيث هو ممارسة اجتماعية، لا يمكن تصورها في إطار التزامن الجامد المغلق المنطوي على نفسه. (48) و يمكن أن نقول هنا أن البنيوية بانحيازها إلى الدراسة التزامنية للغة، و هجومها على الدراسات التاريخية، فهي تنكر الدور الإنساني في نشأة اللغة و تطورها، و نفي أن تكون اللغة، نتاج التفاعل الإنساني التراكمي، و هي في المقابل ترسخ فكرة فطرية اللغة، و التي ترتبط بدورها بوجود أفكار فطرية في العقل الإنسان، و هذا التوجه، يقود في نهاية المطاف، إلى تأكيد الدور الغيبي و الإلهي و المقدس.

4– اللغة langue للمجتمع، الكلام parole للفرد

و تعد إشكالية اللغة و الكلام، بمثابة تفرع ثانوي، من إشكالية التزامنية و التعاقبية، فبعد أن رجحت المدارس البنيوية، أفضلية الدراسة التزامنية للغة على الدراسة التعاقبية، كان لزاما عليها، أن تحسم جدلا أخرا، يتعلق بمرجعية المجتمع و الفرد؛ فحتى لو أخذنا بالمنهج التزامني، لابد من تحديد أيهما يؤسس على الأخر، من الناحية اللغوية؟ أو من له الأسبقية المنطقية و الزمنية؟

(47)إبراهيم ، زكريا (1976) مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، ص 48

(48)ناصف ، مصطفى (1995) اللغة و التفسير و التواصل، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت، ص 187

اللغة كمنظومة اجتماعية؟ أم الممارسات اللغوية الفردية؟ علما بأن طبيعة هذا السؤال، تنتمي إلى فئة الأسئلة، التي ترغمنا على الوقوع في الدور المنطقي، فكلما افترضت إجابة، تكتشف أن الإجابة الأخرى لا تقل وجاهة من الأولى.

و يرجع الفضل في هذا التمييز إلى العالم اللغوي دي سوسير، فاللغة أشبه بنظام اجتماعي، بمعنى أنها مستقلة عن الفرد، بينما الكلام هو التطبيق العملي الذي يقوم به الفرد.(49) فاللغة هي النظام النظري أو مجموع القواعد التي ينبغي على متكلمي تلك اللغة أن يلتزموا بها إذا أرادوا التواصل بينهم، أما الكلام فهو الاستخدام اليومي لذلك النظام من قبل المتكلمين، و يمكن فهم هذا التميز بالمقارنة مع التمييز الأخر المشابه له و الذي وضعه تشومسكي، إذ ميز بين الكفاءة اللغوية competence و الممارسة اللغوية performance ، فالأول يعني نظرية اللغة التي نحملها في رؤوسنا، بينما يعني الثاني التطبيقات العملية التي نستمدها من النظرية.(50)

و الغرض من التمييز بين اللغة و الكلام هو الفصل بين النسق الذي يكمن وراء الفعل اللغوي و بين الفعل ذاته، و بالتالي الفصل بين المشكلات أو المسائل اللغوية البحتة و بين المسائل التي قد تتطلب وجود اعتبارات سيكولوجية أو فسيولوجية، و تعد اللغة به الجوهر الأساسي، بينما الكلام هو العرضي، و لا قيمة للجمل أو الكلام، سوى أنها تساعد الباحث اللغوي على معرفة النسق الذي يكمن وراء هذه العبارات. (51) فاللغة هي مجموع القواعد الثابتة التي توافق عليها المجتمع، بينما الكلام هو محاولات الأفراد تطبيق تلك القواعد، و الجدير بالذكر، أن هذا التميز جاء أساسا، لتأكيد وجود معطى ثابت، يمكن دراسته متمثلا في اللغة، و ذلك خلافا للكلام الذي لا يعول عليه.

و اللغة و الكلام لا يتعارضان بل هما متكاملان، فالأحداث الكلامية سبقت اللغة، و هي التي كونتها تدريجيا، كما أن اللغة–من منظور أخر– تسبق الكلام الذي ينضبط وفقا لمصطلحها.(52) و إن كان من الناحية المنطقية، فاللغة تسبق الكلام، فإمكانية أن نعني شيئا بالألفاظ، فهو أمر مرتبط ببنية اللغة نفسها، قبل حتى النطق بها، و لا شك أن البنى هي نتاج لعملية سابقة، و لكن مهما عدنا إلى الخلف، فعندما نفكر بمولد اللغة، فلابد أن نفترض تنظيما مسبقا. (53) أي أن اللغة تسبق الكلام، لكون الكلام يؤسس عليها، و اللغة لا تسبق الفرد فقط، بل تسبق حتى الجماعة أيضا، و ما الجماعة إلا مظهر لتجسدها

فاللغة كما يراها أحد أقطاب البنيوية و هو رولان بارت، هي مؤسسة مجتمعية و نظام من القيم في الوقت ذاته، و هو لا يخضع لأي نية مسبقة، فهو القسم المجتمعي من اللغة و ليس بمقدور الفرد وحده أن يخلقه أو أن يغيره، و لأنه نظام من القيم التعاقدية فهو يقاوم التعديلات التي يجريها الفرد الواحد، و هو بذلك مؤسسة مجتمعية.(54) و على الرغم من الارتباك الذي يكتنف التصور البنيوي للنسق اللغوي، و أسبقية اللغة على الكلام، و ارتباط اللغة بالجماعة، إلا أنه يعد استمرارا لفكرة اللغة

(49)إبراهيم ، زكريا ، مشكلة البنية، مرجع سابق، ص 44
(50) ستروك، جون، البنيوية، مرجع سابق، ص 13
(51)أبوزيد ، أحمد ، مدخل إلى البنائية، مرجع سابق، ص 73
(52)جعفر ، عبدالوهاب ، مبادئ الفلسفة و قضاياها المعاصرة، مرجع سابق، ص 254
(53)ستروك ، جون ، البنيوية، مرجع سابق، ص 190
(54)بارت ، رولان (1987) مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، دار الحوار، اللاذقية ، ص ص 34، 35

الفطرية، المترسخة خلف الوجود الإنساني، إذ تحرم الفرد من حق المشاركة في العملية اللغوية، و خض لقوانين الجماعة، التي تمارس مهمة أقرب إلى تطبيق القانون، و لكنها ليست هي من تصدره، فاللغة بنية سابقة على الوعي الإنساني، أو بمعنى أخر، شيء مقدس سواء كان من مصدر مقدس، أو يكتسب قدسيته لأسبقيته على الإنسان.

5– اللغويات الداخلية و اللغويات الخارجية

تقودنا الإشكالية أو التمييز السابق إلى تمييز بنيوي أخر، و هو التمييز بين اللغويات الداخلية و اللغويات الخارجية، فاللغويات الداخلية تكون فيها اللغة نسق له قواعده الخاصة، و له تنظيمه الداخلي في حد ذاته، بينما اللغويات الخارجية يهتم بمظاهر اللغة من حيث علاقتها بالدوائر المؤثرة عليها كالحضارة و التاريخ و علم النفس، و يشبه دي سوسير النظام الداخلي للغة أو اللغويات الداخلية، بقواعد اللعبة، أما تناقل اللعبة من جيل إلى جيل أو بلد إلى بلد فهو يناظر اللغويات الخارجية، و من هنا يولي البنيويون الاهتمام الأكبر بالبنيويات الداخلية. [55] فالبنية الداخلية هي المعبر الأساسي عن اللغة، هي القواعد وفقا لتشبيه دي سوسير، بينما اللغويات الخارجية لا تعبر عن شيء، بل لا تؤثر حتى على البنية الداخلية للغة، و التي تعد نسقا مغلقا.

و لقد ترتب على ذلك نتائج غاية في الخطورة، و هي قدسية النسق و أحادية المعنى؛ فالبنيوية تلغي ثنائية النص سواء مع المؤلف أو القارئ، و تخضع كل شيء لجبرية صارمة تلغي بها فاعلية أي شيء خارج النص.[56] و اللغة هي نسق لابد أن تمر من خلاله كل الرسائل التي يريد المتحدث أن يوصلها إلى الآخرين، و بالتالي فإن كل الرسائل التي تمر من خلاله ينبغي أن تتبع قوانين هذا النسق.[57] و عليه يعتبر النص في نظر البنيويين هو مجرد بنية و ليس حدثا، و هذا الأمر ارتبط بموضوعية النص، مما يتيح بلوغ مضمونه، دون الحاجة إلى الربط بينه و بين أي مرجعيات اعتباطية من خارجه، و موضوعية النص، ترتبط أيضا بضرورة وجود قصد أو معنى واحد للنص، ذلك المعنى الذي أودعه المؤلف في نصه، و على القارئ أن يصل إليه، و التصور القائم على النص المغلق و الذي تمر الرسالة من خلاله دون أي تأثير خارجي، مما يجعله نصا موضوعيا لا يحمل إلا معنى واحدا موضوعيا، هو ذاته التصور الديني للنصوص المقدسة.

خاتمة

و في الختام لا يملك المرء إلا أن يتعجب، حين يجد أن دي سوسير قد تبنى تلك الميتافيزيقا المتمركزة على العقل.[58] و أن البنيوية تنطلق من مسلمات تلغي الذات و الوعي و الإرادة و تمثل تحديا للفلسفة ذات النزعة الإنسانية، خاصة في مجال النسق اللغوي اللاشعوري، و هو ما انبثق عنه تصور جديد للغة، أصبحت تبدو من خلاله نسقا مغلقا و مكتفيا بذاته، و سابقا على الذات المتكلمة.[59] و يبدو هذا من باب المفارقة التاريخية المدهشة حقا، أن يشهد الفكر الفلسفي الغربي، في أخر تطور له على يد البنيوية، قطيعة معرفية بين الإنسان و العالم. و ذلك لأن هذا من العلاقات الثابتة الذي تمثله البنية سيقف بالضرورة في وجه أي تواصل بين الذات و العالم، و بالتالي فإن هذه القطيعة المعرفية، من شأنها أن تترك كل أفعال الإنسان و نشاطاته،

---

(55)رشوان ، محمد مهران (1984) مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة، القاهرة ، ص 138

(56)أبو زيد ، نصر حامد (2005) إشكالية القراءة و التأويل، المركز الثقافي العربي، الرباط ، ص 20

(57)جعفر، عبدالوهاب، الانثربولوجيا و سارتر، مرجع سابق، ص 33

(58)جاكسون، ليونارد (2008) بؤس البنيوية، ترجمة ثائر ليبب، دار الفرقد، دمشق ، ص 287

(59)الداوي، **عبدالرزاق**، موت الإنسان، مرجع سابق، ص 11

خاضعة للاشعور و اللامعقولية.[60] فكيف للفكر الغربي، الذي تبنى الفردية و الحرية، و أعلى من شأن العقلانية، و رفض الميتافيزيقا، أن يتبنى أنساقا جبرية، يتحكم فيها اللا شعور.

و لذلك فهناك جانبان مهمان سيتم التركيز عليهما في نهاية هذا البحث، الجانب الأول يتمثل في العلاقة التي تربط بين اللغة و المقدس، و أثرها على كل منهما، و خاصة اللغة العربية، و الجانب الأخر، هو شيوع فلسفة كالبنيوية، لا تنسجم مع السياق الفلسفي الغربي، من حيث دعوتها إلى اللاشعور و الأنساق المعلقة و إلغاء الذات، و كيف أن تلك النزعة الفلسفية، توافقت مع المزاج العربي دون غيرها، مما جعلها محط إعجاب منقطع النظير، و أنها بدلا من أن تساهم في إرساء حركة نقدية للفكر العربي، ساهمت في ترسيخ مورثه الديني و اللغوي، و ما الفرق بين البنيوية العربية و البنيوية الغربية.

إن الارتباط بين اللغة و المقدس، يحتم على اللغة التأثر بالموضوعات التي يتناولها المقدس، و لأن كافة أشكال النصوص المقدسة ذات طابع ميتافيزيقي، فمن هنا تصبح اللغة ميتافيزيقية بالقدر الذي يكون به المقدس ميتافيزيقيا، و تنحصر اللغة في أداء هذا الدور المقدس، بالقدر الذي ينحصر به تفكير المتكلمين بتلك اللغة في موضوعات المقدس. فقوة الارتباط بالمقدس، تعوق ارتباط اللغة بالجوانب المعرفية الأخرى.

و مما لا جدال عليه، أن الاهتمام باللغة على مر التاريخ، كان مدفوعا بإلحاحات دينية و عقائدية– بما في ذلك اللغة العربية– و أهم تلك الإلحاحات، هو فهم معنى النصوص الدينية، و بطبيعة الحال، تتولد الرغبة في فهم النصوص الدينية، عندما تتعدد الأفهام و التأويلات، و يبدأ الخلاف حول أي تلك المعاني هو الأصح، و من هنا يلجأ المختلفون إلى اللغة و قواعدها، لحسم هذا الخلاف. و الجدير بالذكر، أن الخلاف يرتكز على فرضية أسياسية، و هي ضرورة أن يكون هناك تأويل واحد فقط هو الصحيح، و ذلك خلافا للأدب الذي يسمح بتعدد المعاني و مرونة اللغة فيما يتعلق بالبديع و المجاز.

و لذلك فقد بدأ جمع قواعد اللغة و تنقيحها، بعد أن بدأ الخلاف بين الناس حول تأويل النصوص المقدسة. إلا أن الأمر لم يكن بهذه البساطة، بحيث يمكن استنباط قواعد اللغة بسهولة و يسر، فجمع قواعد اللغة أنطلق بعد تكون آراء فقهية مسبقة، بحيث أن بعض مدارس اللغة، كانت تضع القواعد لتتناسب مع آرائها الفقهية، و يعد هذا الأمر أحد أهم أسباب الاختلافات النحوية، فعلى سبيل المثال هناك من يرى أن الخلاف بين مدرستي البصرة و الكوفة لم يكن خلافا نحويا، بل كان خلافا فقهيا، و أبرز الإشكاليات التي ساهمت في وضع قواعد اللغة هي إشكالية الذات و الصفات.[*] و لقد كان التأثير متبادلا، إذ تشكلت فرق فقهية وفقا لمنظور لغوي و تشكلت مدارس لغوية وفقا لموقف فقهي.

و الجدير بالذكر في هذا السياق، لقد أدى التداخل بين اللغة و المقدس، و الخلاف حول معاني و تأويل النصوص، إلى أن يصبح تفسير النصوص الدينية وظيفة أحتكرها الفقهاء لأنفسهم، مما جعل فهم اللغة و حفظها أمرا لا يتقنه إلا من يملك حق تفسير تلك النصوص. و هذا الأمر كانت له انعكاسات سلبية على اللغة، إذ أنها إما يحيل اللغة إلى لغة تحتكرها فئة معينة (القساوسة–الفقهاء) و هي ذات الفئة التي تحتكر حق استخراج المعاني من تلك النصوص و فهمها بشكل صحيح دون غيرها

(60)هويدي ، يحيى (1993) قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة، القاهرة ، ص 153

(*)انظر عليو ، محمد الشيخ (بدون) مناهج اللغويين في تقرير العقيدة، دار المناهج، الرياض

من الناس، أو تحيل اللغة إلى مجموعة طلاسم يرددها المؤمنون خلال أداء طقوسهم الدينية دون وعي بمعانيها، و كل هذا يؤدي بدوره إلى عزل اللغة و انحصارها إما لدى فئة صغيرة، أو لأداء وظيفة واحدة من وظائف اللغة.

و هذا الموقف القائم على قدسية اللغة و الذي يعج به تراثنا، تطابق مع موقف البنيوية، مما جعلها أكثر شيوعا في الأوساط العربية، و لكن السؤال عن شيوع البنيوية في الأوساط الغربية، التي أقامت فلسفتها على رفض تعاليم الكنيسة و على الحرية و الفردية؟ و لكن يمكن فهم ذلك لو وضعنا البنيوية في سياقها التاريخي، من خلال فهم المدارس التي ناصبتها العداء سواء تلك التي أدت لظهورها الوجودية، أو التي أدت إلى اندثارها التفكيكية.

فكما هو معروف بخصوص نشأة البنيوية، أنها كانت أساسا تمثل ردة فعل ضد الوجودية، تلك الفلسفة التي تطرفت في التعويل على حرية الفرد، و تأكيد الذاتية و الحرية و الإرادة، معتبرة أن الفرد هو محور الوجود، و هو الذي ينقل الرسائل و يملك المعنى، و من هنا حاولت البنيوية التأكيد على طبيعة إنسانية، تقوم على فكرة الجماعة، و قوة النسق الخفية، و التأكيد على الغائية الحتمية للبشر، و حين تطرفت البنيوية في هذا المجال، لدرجة أعلنت موت الإنسان، ظهرت التفكيكية، التي حاولت الشك في كل ما جاءت به الوصفية البنيوية، معتبرة أنه لا رسالة و لا دلالة قبل تفكيك الخطاب أو النص.و هنا تجدر الإشارة إلى أن البنيوية الغربية لها سياقها التاريخي، فهي ردة فعل ضد ما قبلها و أرضية لمجيء ما بعدها، إلا أن البنيوية في الوطن العربي، هو منهج وافق الرأي السائد، فلا هو مبني على رؤية نقدية لفكر قبله، و لا يؤدي إلى رؤية نقدية تنبثق عنه أو تنتقده، فالبنيوية في الفكر العربي أقرب إلى العقيدة منها إلى الفلسفة، بينما في الفكر الغربي، كان دعاتها يرغبون في بلوغ الصلابة العلمية، إلا أنهم وجدوا أنفسهم في منزلقات الميتافيزيقا.

المراجع العربية و الأجنبية.

أولا: المراجع العربية

1. إبراهيم ، زكريا (1976) مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة
2. ابن حزم (بدون) الإحكام في أصول الأحكام، (ج 1)، دار الآفاق، بيروت
3. أبو زيد ، نصر حامد (2005) إشكالية القراءة و التأويل، المركز الثقافي العربي، الرباط
4. أبوزيد ، أحمد (1995) مدخل إلى البنائية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة
5. إسلام ، عزمي (بدون) لدفيج فجتنشتين، دار المعارف، القاهرة
6. أولندر ، موريس (2016) لغات الفردوس"آريون و ساميون:ثنائي العناية الإلهية"، ترجمة جورج سليمان،هيئة البحرين للثقافة و الآثار، المنامة
7. بارت ، رولان (1987) مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، دار الحوار، اللاذقية
8. بنكر ، ستيفن (2000) الغريزة اللغوية(كيف يبدع العقل اللغة)، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني،دار المريخ، الرياض، ص ص 23، 22
9. بيرو ، جون (2001) اللسانيات، ترجمة الحواس مسعودي، مفتاح بن عروس، دار الآفاق، الجزائر ، ص 128
10. تشومسكي ، نعوم (2009)، آفاق جديدة لدراسة اللغة و العقل، ترجمة عدنان حسن، دار الحوار، اللاذقية، ص ص 65-63
11. جاكسون، ليونارد (2008) بؤس البنيوية، ترجمة ثائر لبيب، دار الفرقد، دمشق
12. الجزيري ، عبد الرحمن (بدون) الفقه على المذاهب الأربعة، ج (1)، دار الكتب العلمية
13. جعفر ، عبد الوهاب (2012) مبادئ الفلسفة و قضاياها المعاصرة، دار الوفاء، الإسكندرية
14. جعفر ، عبدالوهاب (1980) الانثربولوجيا البنيوية و موقف سارتر منها، دار المعارف، الإسكندرية
15. جعفر ، عبدالوهاب (2008) الفلسفة و اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية
16. حجازي ، محمود فهمي (1992) مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة، القاهرة
17. خليفي ، بشير (2010) الفلسفة و قضايا اللغة، الاختلاف، الجزائر
18. حمود ، جمال (بدون) فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين، منشورات الاختلاف، الجزائر
19. حمودة ، عبدالعزيزي (1998) المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت
20. خرما ، نايف (1990) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت
21. الداوي ، عبدالرزاق (1992) موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت
22. رشوان ، محمد مهران (1984) مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة، القاهرة
23. روبنز ، ر.هـ. (1990) موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت
24. زيدان ، محمود فهمي (1985) في فلسفة اللغة، دار النهضة، بيروت
25. ستروك ، جون (1990) البنيوية و ما بعدها، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت

26. سيرل ، جون (1998) فلسفة اللغة، براين ماغي (تحرير)، رجال الفكر ، ترجمة نجيب الحصادي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي
27. شمس الدين ، جلال (1994) التعليل اللغوي عند الكوفيين مع مقارنته بنضيره عند البصريين، الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ص 7
28. عليو ، محمد الشيخ (بدون) مناهج اللغويين في تقرير العقيدة، دار المناهج، الرياض
29. فوكو ، ميشيل (1990) الكلمات و الأشياء، ترجمة مطاع صفدي، سالم يفوت، و آخرون، الإنماء الوطني، بيروت
30. كوبر ، روبرت ل. (2006) التخطيط اللغوي و التغير الاجتماعي، ترجمة خليفة أبوبكر، مجلس الثقافة، القاهرة
31. ناصف ، مصطفى (1995) اللغة و التفسير و التواصل، المجلس الأعلى للثقافة
32. النووي ، أبو زكريا (بدون)،المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج (1)،دار إحياء التراث العربي، بيروت
33. نيتشة، فريديريك (1996) أفول الأصنام، ترجمة حسان بورقية، محمد الناجي، افريقيا الشرق، ص 33
34. هويدي ، يحي (1993) قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة، القاهرة

ثانيا:المراجع الأجنبية :

1. Downes, William (2010) Language and Religion: A Journey into the Human Mind, Cambridge University Press
2. Düttman, Alexander García (2000) Gift of Language, A&C Black
3. Edwards ,John (2009) Language and Identity: An introduction, Cambridge University Press
4. Hacking , Ian (1975) Why Does Language Matter to Philosophy, Cambridge University Press
5. muller , F.M. (1996) the origin of language, Roy Harri (Edit) Origin Of Language,A&C Black
6. Myhill, John (2006),Language, Religion and National Identity in Europe and the Middle East, John Benjamins Publishing
7. Olender ,Maurice (1992) The languages of Paradise: race, religion, and philology in the nineteenth century, tans by Arthur Glodbammer, Harvard University PressTrabant ,
8. RClAMMER, John (1980) Religion and language in Singapore, Evangelos A. Afendras, Eddie C. Y. Kuo (Edit) , Language and Society in Singapore, NUS Press
9. Trabant , Jürgen (2001) New perspectives on an old academic, Sean Ward , Jürgen Trabant (Edit) New Essays on the Origin of Language, Walter de Gruyte